سلسلة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية

الوصية الكبرى

في العقيدة والدعوة للمسلمين: جماعات وأفراداً

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

علي حسن علي عبد الحميد

عفا الله عنه



سلسلة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية

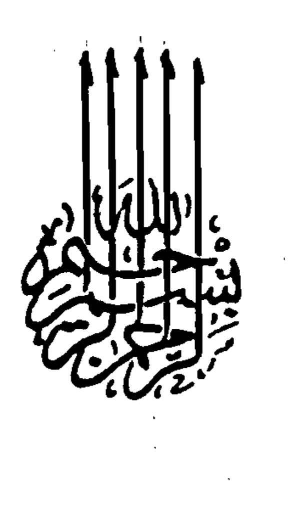
الوصية الكبرى

في العقيدة والدعوة
للمسلمين: جماعات وأفراداً

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
علي حسن علي عبد الحميد
عفا الله عنه

دار عمار


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، منَ يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومنَ يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه ـ أخي القارىء ـ رسالة «الوصية الكبرى» مما خلَّفه لنا وللأمة الإسلامية كُلِّها شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله تعالى، نصُحاً وتعليمًا وتذكيراً..

وهي رسالة ـ على صغر حجمها ـ تُمَثِّل منهاجاً شرعياً كاملاً للمسلمين أجمعين: جماعات، وأفراداً.

وكنت قد اطّلعت على الرسالة قديمًا، لكنْ، وقع في قلبي قبل مدة وجيزة من الزمن، أن أقوم بإخراجها للناس عامة،

والـدعـاة خاصة، بطبعة أنيقة، مُحَقَّقة، مُخَرَّجة، تنالُ القَبول والرضا إن شاء الله رب العالمين.

طبعات الكتاب:

وقع تحت يدي قُبيل تحقيق الكتاب، ثلاث طبعات له:

الأولـى: ضمن «مجموع الفتاوي» (٣/٣٦٣ - ٤٣٠).

الثانية: ضمن «مجموعة الرسائل الكبرى» (١/٢٦٧ - ٣٢٣).

وكلا الطبعتين طُبعتا باسم «الوصية الكبرى» أما:

الطبعة الثالثة: فطبُعت باسم «عقيدة أهل السنة والجماعة والفـرقـة النـاجية» نشر مكتبة أنصار السنة المحمدية، بتعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي.

والـطبعات الثلاثة فيها كثير من التحريف والتصحيف، الذي أعرضتُ عن التنبيه عليه خشية الإطالة على القارىء، وثلاثتها أيضاً خالية من أي تعليق أو تحقيق، أو تخريج الحديث!!!

وأخيراً:

فإني أترك الإخوة القراء مع وصية شيخ الاسلام ابن تيمية لبعض «الجماعات» من أبناء عصره، مذكراً إيّاهم باتباع السنة،

واجتناب البدعة، داعياً الله العليَّ الأعلى أن يُوفِّقنا جميعاً لما يُحب ويرضى إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبـو الحارث علي بن حسن بن علي الحلبي الأثـري بعـد صلاة العصر من يوم الجمعـة الموافق للتاسع من شهر شوال سنة ١٤٠٥ هجرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ رحمه الله تعالى:

من أحمد ابن تيميَّة إلى من يصل إليه هذا الكتابُ من المسلمين المنتسبينَ إلى السنة والجماعة، المنتمينَ إلى متابعة الشيخ العارف، القدوة عَديٍّ بن مُسافر الأُمَوي[1] رحمة الله عليه، ومن نحا نحوهم، [2] وفقهم اللّه تعالى لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين لصراطه المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجَنَّبهم طريقَ الضلال والاعوجاج، الخارجين عما بعث الله به رسوله من السنة

(١) ترجمته في «الكامل» (١١/ ١٩٠) و «تاريخ أبي الفداء» (٣/ ٤٠) و «معجم البلدان» (١٢/ ٣٤٧) و «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٤٣) و «شذرات الذهب» (٤/ ١٧٩) و «النجوم الزاهرة» (٥/ ٣٦١) و «تاريخ إربل» (١/ ١١٤) وانظر تعليق محققه الاستاذ سامي الصقار في (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٦) لزاماً، وانظر أيضاً كلام المصنف شيخ الاسلام فيه في «مجموع الفتاوي» (١١/ ١٠٣ و ٦٠٤)

(٢) وهي دعوة للجماعات الإسلامية المعاصرة أيضاً!

والمنهاج، حتى يكونوا ممن أعظم الله عليه المنة بمتابعة الكتاب والسنة.

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته

وبعد: فإنا نحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو على نعمِهِ، وهو للحمد أهلٌ، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يُصلي على خاتم النبيين وسيد ولد آدم، وأكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه زُلفى، وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأنزل عليه الكتاب مُصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه، وأكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فهم يوفون سبعين أمة[1]هم خيرها وأكرمها على الله، وجعلهم وسطاً،[2]أي: عدلا خياراً[3]وكذلك جعلهم شهداء على الناس، هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شَرَعَهُ لجميع خلقه، ثم خصَّهم بعد ذلك بما مَيَّزهم به وفضَّلهم من

---

(١) كما ورد في الحديث: «إنكم وفيتم سبعين أمة» رواه أحمد في «مسنده» (٣/٥ و ٥) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وإسناده حسن

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (البقرة: ١٤٣)

(٣)انظر «زاد المسير» (١/١٥٤ ـ ١٥٥) لابن الجوزي.

الشِّرعة والمنهاج الذي جعله لهم.

فالأولُ: مثلُ أصول الايمان، فأعلاها وأفضلها هو التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللّه، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نُوحي اليْهِ أنَّه لا إلهَ إلاَّ أَنَا فاعبُدونِ﴾ [الانبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ منْ رُسُلنـا أَجعَلْنـا مِنْ دُونِ الـرحْمٰن آلهَةً يُعْبَدون﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بهِ نُوحاً والَّذي أَوْحَينا إلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إبْرَاهيم وَمُوسىٰ وَعيسىٰ أَنْ أقِيموا الدينَ وَلاَ تتفرقوا فيه، كَبُرَ على المُشْركينَ مَا تدْعُوهُمْ إلَـيْه، الـلهُ يَجْتـبـي إلِيْه مَنْ يشـاء ويهـدي إليه مَنْ يُنيبُ﴾ [الشورى: ١٣] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الرُّسُلُ كلوا مِنَ الطَّيبات وَاعْمَلُوا صَالِحاً إنِّي بِما تَعْملَونَ عَليمٌ. وأنَّ هٰذهِ أمّتُكم أُمةً واحدةً وأَنا رَبكُم فاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ومثل الإيمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالى: ﴿قُـولُـواْ آمَنَّـا بِاللّهِ ومـاَ أُنـزلَ إلى ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفـرق بين أحـد منهم ونحن له مسلمـون﴾ [البقرة: ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ [الشورى: ١٥] ومثل قوله: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا؟ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾(البقرة ٢٨٥، ٢٨٦).

ومثل الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب، كما أخبر الله من إيمان مَنْ تقدَّم من مؤمني الأمم به حيث يقول: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٦٢).

ومثل أصول الشرائع كما ذكره في سورة الأنعام والأعراف وسبحان[1] وغيرهن من السور المكية مِنْ أمرِهِ بعبادته وحدَه لا شريك له وأمْرِه ببر الوالدين، وصِلةِ الأرحام، والوفاء بالعهود، والعدل في المقال، وتوفية المكيال والميزان، وإعطاء السائل والمحروم، وتحريم قتل النفس بغير حق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحريم الإثم والبغي بغير حق، وتحريم

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم...﴾ (الأنعام: ١٥١) وقوله: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش..﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه...﴾ [الإسراء: ٥٦] وغيرها

الكلام في الدين بغير علم، مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص الدين لله، والتوكل على الله، والرجاء لرحمة الله والخوف من الله، والصبر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، وأن يكون الله ورسولهُ أحبَّ إلى العبد من أهله وماله والناس أجمعين إلى غير ذلك من أصول الإيمان التي قد أنزل الله ذكرَها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية.

وأما الثاني مما أنزل الله تعالى في السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول ﷺ لأمته فإن الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامْتَنَّ على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذلك فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [الاحزاب: ٣٤] قال غير واحد من السلف (١) الحكمة هي السنة، إن الذي كان يُتلى في بيوت أزواجه سوى القرآن هو سنة رسول الله ﷺ ولهذا قال ﷺ: «ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلهَ معه» (٢) وقال حسان بن

(١) كما رواه عن قتادة ابنُ سعد وابن جرير وابن المنذر وعبدالرزاق وابن أبي حاتم «الدر المنثور» (٥/ ١٩٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٤) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٨٩) و «الكفاية» (ص ٨) عن المقدام، وإسناده صحيح، وانظر «معالم السنن» (٥/ ١٠)

عطية:[1] كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن[2].

وهذه الشرائع التي ميز الله بها هذا النبيَّ وأُمتَه مثل الوجهة والمنسك والشرعة والمنهاج، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والسجود، واستقبال البيت الحرام ومثل فرائض الزكاة ونصُبها التي فرضها في أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارات والذهب والفضة ومن جَعْلِها لهُ حيث قال: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾ الآية [التوبة ٦٠] ومثل صيام شهر رمضان، ومثل حج البيت، ومثل الحدود التي حدَّها في المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات، ومثل السنن التي سنها لهم من الأعياد والجمع والجماعات في المكتوبات، والجماعات في الكسوف والاستسقاء، وصلاة الجنائز، والتراويح، وما سنه في العادات مثل المطاعم والملابس والولادات، ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التي هي حكمُ الله ورسولِه بينهم في الدماء، والأموال، والأبضاع، والأعراض، والمنافع، والأبشار، وغير

(١) هو أحد أئمة الشامين، روى له الستة، توفي قريب سنة (١٣٠ هـ) ترجمته في «سير اعلام النبلاء» (٥/٤٦٦)

(٢) أخرجه الدارمي (١/١٤٥) والخطيب في «الفقيه والمتفقة» (١/٩٩) و «الكفاية» (١٢ و ١٥) وابن عبد البر في «الجامع» (٢/١٩١) وإسناده مرسلٌ صحيح.

ذلك من الحدود والحقوق، الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله ﷺ وحبب إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم وجعلهم مُتّبعين لرسوله وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة[1] كما ضلت الأمم قبلهم، إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله رسولا إليهم كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى ﴿وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر ٢٤] ومحمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء لا نبي بعده فعصم أمته أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة، ولهذا كان إجماعُهم حُجَّةً كما كان الكتاب والسنة حجة.[2]

ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة من أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ، وعن ما مضت عليه جماعة المسلمين فإن

---

(١) كما في قوله ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة» وهو حسن لغيره إن شاء الله، رواه الترمذي (٢١٦٨) وفيه ضعف، ورواه الحاكم (١ / ١١١) عن ابن عباس، وابن أبي عاصم (٨٢) و(٩٢) عن كعب ابن عاصم، و(٨٤) عن أنس بن مالك، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٤٤) والغماري في «تخريج اللمع» (٧٢) وقد ضعفه ـ من غير حجة ـ الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله في تحقيقه لكتابنا هذا (ص: ٧) فليتنبه لذلك.

(٢) انظر كلام المصنف في تقرير ذلك في «مجموع الفتاوي» (١٩ / ١٧٦ ـ ١٨٠).

الله تعالى في كتابه أمر باتباع سنة رسول الله ولزوم سبيله، وأمرنا بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف(١)، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤] وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: ٣١] وقال تعالى: ﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء ٦٥] وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ [الانعام: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة: ١٨] وقال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الانعام: ١٥٣].

وقال تعالى في أم الكتاب: ﴿إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

---

(١) وفي هذا أعظم عبرة للجماعات الإسلامية المتفرقة حتى يفيقوا من غفلتهم، ويرجعوا عن أغلاطهم.

[الفاتحة: ٧]، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون[1]».

فأمرنا سبحانه وتعالى في أم الكتاب التي لم يُنَزَّل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، التي أُعْطِيَها نَبِيُّنا ﷺ من كنز تحت العرش، التي لا تجزى صلاة إلا بها.[2] وقد أمرنا أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين هم غير المغضوب عليهم كاليهود، والضالين كالنصارى.

وهذا الصراطُ المستقيمُ هو دين الله المحض[3]، وهو ما في كتاب الله، وهو السنة والجماعة، فإن السنةَ المحضة هي دينُ الإسلام المحض فإن النبيَّ ﷺ روُي عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالإمام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ألا وهي الجماعة»[4] وفي رواية: «من كان على

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٦) وأحمد (٤/٣٧٤) وابن حبان (١٧١٥) و (٢٢٧٩) وصححه أستاذنا الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٥٢٦)

(٢) انظر تخريج هذه الفضائل في «الدر المنثور» (١/٢ - ٧) للسيوطي.

(٣) انظر «دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيمية» (١/٢١١) للدكتور محمد السيد الجليند.

(٤) رواه - بهذا اللفظ - ابو داود (٤٥٩٧) وأحمد (١٠٢٤) والدارمي (٢/٢٤١) والحاكم (١/٢٨) والآجري في «الشريعة» (١٨) من =

مثـل ما أنا عليه اليوم وأصحابي[1]» فهذه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة[2] هي وَسَطٌ في النِّحَل ، [3] كما أن ملة الاسلام وسطٌ في الملل، فالمسلمـون وَسَطٌ في أنبياء الله ورسوله وعباده الصالحين لم يَغْلُوا فيهم كما غَلَتِ النصارى فاتخذوا ﴿أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ [التوبة: ٣١] الآية، ولا جَفَوا[4] كما جَفَتِ اليهودُ الذين يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً، بل المؤمنون آمنـوا بالله وبـرسله وَعزَّروهم[5] ونصروهـم ووقَّروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس

= حديث معاوية.

(١) رواه هكذا العقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٦٢) والطبراني في «الصغير» (١/٢٥٦) من حديث أنس، وقـد اختلط أمـر الروايتين على محقق «ضعفاء» العقيلي فوهم في التخريج مراراً! وانظر «سلسلة الاحاديث الصحيحة» (١/٣٦١)

(٢) وقد رجح المصنف رحمه الله ـ تبعاً لكثير من أهل العلم ـ أنهم أهل الحديث كما في «مجموع الفتاوي» (٣/٣٤٧).

(٣) الفرق والمذاهب

(٤) هي الغلظة والقسوة!

(٥) مرادفة لما بعدها، وانظر «تحفة الأريب» (ص ٢٢٢) لأبي حيان الأندلسي.

كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ [آل عمران: ٧٩].

ومن ذلك أن المؤمنين توسَّطوا في المسيح فلم يقولوا: هو الله، أوابنه، أو ثالث ثلاثة، كما تقوله النصارى، ولا كفروا وقالوا على مريم بهتاناً عظيًما، حتى جعلوه وَلَدَ بَغِيَّة كما زعمت اليهود، بل قالوا هو عبدُ الله وكلمتُه ألقاها الى مريم العذراء البتول وروحٌ منه(١).

وكذلك المؤمنون وَسَطٌ في شرائع دين الله فلم يُحرِّموا على الله أن ينسخ ما شاء ويثبت ما شاء كما فعلت اليهود كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ [البقرة ١٤٢] وبقوله: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم﴾ [البقرة: ٩١] ولا جَوَّزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيِّروا دينَ الله فيأمروهم بما شاؤا وينهوهم عما شاؤا كما تفعله النصارى كما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾) [التوبة: ٣١] قال عَدِيُ بن حاتم: قلتُ يا رسول الله ما عبدوهم قال «ما عبدوهم ولكن

---

(١) من هنا وما قبله وما سيأتي - بَعْدُ - منهاج متكامل في الوسطية التي يجب على المسلمين أن يكونوا عليها لا غيرا!

أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم» وفي لفظ: قال «فتلك عبادتهم»[1].

والمؤمنون قالوا لله الخلق والأمر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره، وقالوا: سمعنا وأطعنا، فأطاعوا كلَّ ما أمر الله به، وقالوا: إن الله يحكم ما يريد، وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما.

وكذلك في صفات الله تعالى فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء، وقالوا يد الله مغلولة، وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك.

النصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا: إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

والمؤمنون آمنوا بأن الله سبحانه ليس له سَمِيٌّ ولا نِدٌّ ولم

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/ ٨١) والبيهقي (١٠/١١٦) وفيه ضعف، وله شاهد موقوف على حذيفة اخرجه ابن جرير (١٠/ ٨١) وابن عبدالبر (٢/ ١٠٩) والبيهقي (١٠/١١٦) وله حكم الرفع، وله شاهد مرسل على أبي العالية عند ابن جرير (١٠/ ٨١)، وهو يرتفع إلى درجة الحسن بهذه الشواهد، وقد حسنه المصنف رحمه الله في كتاب «الإيمان» (ص ٦٤) وشيخنا الألباني في «تخريج المصطلحات الأربعة» (ص ٦٤ ـ دمشق)!!.

يكن له كُفُوا أحد، وليس كمثله شيءٌ وكلٌّ ما سواه عباد له فقراء إليه.

﴿إنْ كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدَّهم عدا وكلهم آتيه يو القيامة فردا﴾ [مريم ٩٤].

ومن ذلك أمر الحلال والحرام، فإن اليهود كما قال تعالى: ﴿فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّتْ لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ [الآية النساء ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظُّفُر مثل الإبل والبط ولا شحم الثَّرْب[1] والكليتين ولا الجدي في لبن أمه إلى غير ذلك مما حُرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما، حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاث مئة وستون نوعاً، والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شُدِّد عليهم في النجاسة حتى لا يؤاكلون الحائض ولا يجامعونها في البيوت!!.

وأما النصارى فاستحلوا الخبائثَ وجميعَ المحرمات، وباشروا جميعَ النجاسات، وإنما قال المسيح ﴿ولأحِلَّ لكم بعض الذي حُرِّمَ عليكم﴾ [آل عمران: ٥٠] ولهذا قال تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ [التوبة ٢٩].

---

(١) قال في «المصباح المنير» (١/ ٨١) والثَّرب: وزان فَلس: شحم رقيق على الكرش والأمعاء!

وأما المؤمنون كما نعتهم في قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ إلى آخر آية [الاعراف: ١٥٦].

وهذا بابٌ يطول وَصْفُهُ، وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق في باب أسماء اللّه وصفاته وَسَطٌ[1] بين أهل التعطيل الذين يُلحدون في أسماء الله وآياته ويُعطّلون حقائق مانَعَتَ الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات، فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل وهم في باب خلقه وأمره وَسَطٌ بين المُكذِّبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء، وبين المُفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئةٌ ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ [الانعام: ١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن

(١) للمصنف رحمه الله «الرسالة التدمرية» في الأسماء والصفات، وهي من أعظم ما صنف رحمه الله فلتراجع!.

إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون بأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مُخْتَارٌ ولا يُسمُونه مجبوراً، اذ المجبورُ من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه وتعالى جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد، والله تعالى خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وَسَطٌ بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مُخلَّدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويُكذِّبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، وبين المُرْجئة الذين يقولون: ايمان الفُسَّاق مثل ايمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والايمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساقَ المسلمين معهم بعضُ الايمان وأصله وليس معهم جميعُ الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يُخلّدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان ومثقال خردلة من إيمان، وأن النبي ﷺ ادّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته[1]، وهم أيضاً

(١) كما في قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه الترمذي (٢٤٣٧) من حديث أنس، وحديث جابر، ورواه أحمد (٢١٢/٣) =

وسط بين الغـالية الذين يغلون في عليٍّ ويُفضّلونه على أبي بكر وعُمَرَ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أو إلهاً[1]، وبـين الجافية الذين يعتقدون كفره، وكفّروا عثمان ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحلون سَبَّهما ويقدحون في خلافة عليٍّ وإمامته.

وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب اللّه وسنة رسول الله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

= عن أنس، وهو صحيح، وانظر كتاب «الشفاعة» (٨٨ ـ ٩٥) لمقبل بن هادي الوادعي فهو قيم للغاية.

(١) كالروافض الاثنى عشرية اليوم، وانظر «وجاء دور المجوس» للدكتور عبدالله الغريب!!.

فصل

[من فقه الدعوة]

وأنتم أصلحكم الله قد مَنَّ الله عليكم بالانتساب إلى الإسلام الذي هو دين اللّه، وعافاكم مما ابتُلِي به من خرج عن الإسلام من المشركين وأهل الكتاب، والإسلامُ أعظمُ النعمِ وأجلّها، فإن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥] وعافاكم بانتسابكم إلى السنة من أكثر البدع المُضلّة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقَدَرية بحيث حصل عندكم من البغض لمن يُكَذِّبُ بأسماء اللّه وصفاته وقضائه وقدره، ويسبُّ أصحاب رسول الله ﷺ ما[1] هو من [طريقة] أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه الله بذلك فإن هذا تمام الإيمان وكمال الدين.

ولهذا كَثُرَ فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال

(١) «ما» اسم مصول بمعنى الذي.

المجاهدين مالا يوجد مثله في طوائف المبتدعين، وما زال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيدُ الله به الدين ويُعزُّ به المؤمنين وفي أهل العبادة والزهد منكم من له الأحوال الزكية والطريقة المرضية، وله من المكاشفات والتصرفات[1]، وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسانُ صدقٍ في العالمين.

فأما قدماء المشايخ الذين كانوا قبلكم مثل الملقب شيخ الاسلام أبي الحسين علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري[2]، وبعده الشيخ العارف القدوة عَدِيّ بن مُسافر الأموي، ومَن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظَّم الله به أقدارَهم ورفع به منارهم، والشيخ عدي قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه

(١) قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي معلقاً: المراد استنارة القلب وصفاء البصيرة، ونفوذ الفكر، وإحقاق الحق وقوة الفراسة بتقوى الله والوقوف عند حدوده، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ كما أن المراد بالتصريف: تدبير الأمور على مقتضى الحكمة، وإيقاعها حسب المصلحة، ووفق النظم الدينية، لا المعنى الذي يفهمه العامة وجهلة الصوفية!!

(٢) توفي سنة (٤٨٦ هـ) ترجمته في «المنتظم» (٩/ ٧٩) و «الكامل» (١٠/ ٢٢٦).

أهل المعرفة بذلك، وله في الأمة صيت مشهور، ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبدالواحد بن محمد علي الأَنْصَاري الشِّيرازي الدمشقي[1] وكشيخ الإسلام الهكَّاري ونحوهما.

وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة، بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء إليها والحرص على نشرها ومنابذة مَنْ خالَفها مع ا الدين والفضل بل والصلاح ما رفع اللّه به أقدارهم وأعلى به منارهم، وغالبُ ما يقولون في أصولها الكبارِ جَيّدٌ، مع أنه لا بد أن يوجد في كلامهم وكلام نُظّارهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كأحاديث لا تثبت ومقاييس لا تَطّرد ما يعرفه أهل البصيرة، وذلك أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، لا سيما المتأخرون[2] من الأمة الذين لم يُحكموا معرفةَ الكتاب والسنة والفقه فيها ويميزوا صحيح الأحاديث وسقيمها، وناتج[3] المقاييس وعقيمها، مع ما ينضم إلى ذلك

(١) توفي رحمه الله سنة (٤٨٦ هـ) ترجمته في «طبقات الحنابلة» (٦٨٥) و «المنهج الأحمد» (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر «المعجم الوافي في النحو العربي» (ص ١٨٤ و ٢٧٧) للدكتور علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي.

(٣) «المصباح المنير» (٢/ ٥٩١).

من غَلَبة الأهواء وكثرة الآراء، وتغلظ الاختلاف والافتراق، وحصول العداوة والشقاق فإن هذه الأسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم الذي نعت الله به الإنسان في قوله تعالى: ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فإذا مَنّ الله على الإنسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الظلام وقد قال تعالى: ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٧٤].

وأنتم تعلمونَ أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتّباعها ويُحمد أهلها ويُذمّ مَن خالفها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات، وإنما ذلك يُعرف بمعرفة أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله[١]، وما ترك من فعل وقول وعمل[٢]، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان وذلك في دواوين الإسلام المعروفة مثل «صحيح» البخاري ومسلم وكتب السنن، مثل «سنن» أبي داود والنَّسائي و «جامع» الترمذي و «موطأ» مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل «مسند» أحمد وغيره ويوجد في كتب

---

(١) حرصاً على الاتّباع.
(٢) حذراً من الابتداع.

التفاسير والمغازي وسائر كتب الحديث جُملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض وهذا أمرٌ قد أقام الله له مِنْ أهل المعرفة مَنِ اعتنى به حتى حفظ الله الدينَ على أهله.

وقد جمع طوائف من العلماءِ الأحاديثَ والآثارَ المرويّةَ في عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة، وعبدالرحمن بن مهدي وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، وعثمان بن سعيد الدرامي، وغيرهم في طبقتهم مثل ما بوَّب عليه البُخاري وأبو داود والنَّسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم[1]، ومثل مصنفات الأثرم، وعبدالله بن أحمد، وأبي بكر الخلّال وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأَصْبَهاني وأبي بكر الآجُرّي، وأبي الحسن الدَّارَقُطْني، وأبي عبدالله بن مَنْدَه، وأبي القاسم اللاَّلَكائي، وأبي عبدالله بن بَطّة، وأبي عمر الطَّلَمَنْكي، وأبي نُعَيم الأَصْبَهاني، وأبي ذَرٍّ الهَرَوي، وأبي بكر البَيْهقي[2]، وإن كانَ قد يقع في هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة[3]،

وقد يروي كثيرٌ من الناس في الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديثَ كثيرةً تكون موضوعةً

---

(١) يريد «باب السنة» أو «باب التوحيد»!.

(٢) وتراجمهم معروفة مشهورة تجدها سريعاً في «سير أعلام النبلاء» للحافظ الكبير الإمام شمس الدين الذهبي!

(٣) فما تمسك به بعض المخالفين طاعناً أن هذه الكتب تروي الغث والسمين فباطل من القول، إذ نبّه غير واحد من الأئمة على ذلك.

مكذوبةً على رسول الله ﷺ، وهي قسمان: منها ما يكون كلاماً باطلاً لا يجوز أن يقال، فضلاً عن أن يُضاف إلى النبي ﷺ، والقسم الثاني من الكلام قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض النـاس، ويكون حقاً أو مما يسوغ فيه الاجتهاد، أو مذهبا لقائله، فيُعزى إلى النبي ﷺ[1]،

وهـذا كثـير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعهـا الشيخ أبـو الفـرج عبـدالـواحـد بن علي الأنصـاري الشيرازي وجعلها محنة يفرق فيها بين السُّنِّي والبِدْعي[2]، وهي مسائل معروفة، عمد بعض الكذابين وجعل لها إسناداً إلى النبي ﷺ وجعلها من كلامه ﷺ، وهذا مما يعلم مَنْ له أدنى معرفةٍ أنه مَكذوبٌ مُفترىً.

وهذه المسائل وإن كان غالبُها موافقاً لأصول السنةِ ففيها ما إذا خالفه الإنسان لم يحكم بأنه مبتدع، مثل: أول نعمة أنعمها الله على عبـده، فإن هذه المسـألـةَ فيها نزاعٌ بين أهل السنة، والنزاع فيها لفظي لأن مبناها على أن اللذة التي يعقبها أَلَم هل تسمى نعمـة أم لا؟ وفيهاأيضا أشياء مرجوحة، فالواجب أن

---

(١) وتعرف ذلك بمراجعة كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثـرهـا السيء في الامة» لشيخنا العلامة الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى.

(٢) وهذا أصل مهم من أصول فقه الدعوة إلى الله إذا توفر فيه شرطان:
١ ـ العلم ٢ ـ الحكمة.

يفـرق بين الأحـاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموما ولمن يدّعي السنة خصوصاً!![1]

---

(١) فليتدبر هذا دعاةُ الإسلام اليوم.

فصـــل [تنبيهـات مهمـة]

وقد تقدّم أن دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يُبالي بأيهما ظَفِر: إما إفراطٌ فيه وإما تفريطٌ فيه.

فإذا كان الإسلامُ الذي هو دين الله، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، فقد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه حتى أخرجه عن كثيرٍ من شرائعه، بل أخرج طوائفَ مِن أعبد هذه الأمة وأورعِها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرَّميَّة، وأمر ﷺ بقتال المارقين منه، فثبت عنه في الصِّحاح وغيرها من رواية علي وأبي سعيد وسهل بن حُنيَف وأبي ذر، وسعد بن أبي وقـاص، وعبد الله بن عُمر وابن مسعود وغير هؤلاء رضي الله عنهم[1] أن النبي ﷺ ذَكَرَ الخوارج فقال: «يَحْقِرُ أحدُكم صلاَته مع صلاتهم، وصيامَـه مع صيامهم، وقـراءته مع قراءتهم، يقـرؤون القرآن لا يُجاوز حناجِرهم، يَمْرُقون من الإسلام كما

(١) انـظر رواياتهم وذكـر مخرّجيهـا في كتاب «السنة» لابن أبي عاصم، وتخريجه «ظلال الجنة» (٢ / ٤٣٩ ـ ٤٦١) لشيخنا الألباني.

يمرقُ السهم من الرَّميَّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يومِ القيامة، لئن أدركتهُم لأقتلنهم قَتْل عادٍ»[1] وفي رواية: «شَرُّ قَتْلَى تحت أديم السماء، خير قَتْلَى من قَتلوه»[2] وفي رواية: «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لنكلوا عن العمل»[3]

وهؤلاء خرجوا في خلافة عليٍّ رضي الله عنه، قاتلهم هو وأصحابهُ بأمر النبي ﷺ وتحريضه على قتالهم، واتفق على قتالهم جميعُ أئمة الإسلام، وهكذا كلُّ مَنْ فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعتِه من أهل الأهواء المُضِلّة والبدع المخالفة.

ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضةَ الذين هم شَرٌّ من هؤلاء، وهم الذين كفَّروا جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم، ويزعمون أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٥٨) ومسلم (١٠٦٤) ومالك (١/ ٢٠٤ و ٢٠٥) وأبو داود (٤٧٦٤) والنسائي (٥/ ٨٧) عن أبي سعيد.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٠٠) وابن ماجة (١٧٦) وأحمد (٥/ ٢٥٣ و ٢٥٦) عن أبي أمامة.

(٣) رواه مسلم (١٠٦٦) وأبو داود (٤٧٦٨) و (٤٧٦٩) و (٤٧٧٠) عن زيد بن وهب الجُهني، ومعنى هذه الرواية الاخيرة: أنَّ مَنْ جاهد هذه الفرقة له أجرٌ يقف العقل البشري دون تقديره، فلو علمه المجاهد لتقاعد عن العمل اتكالاً على ما حظي به من جزاء اجتهاده.

ويُكفّـرونَ من يقـول إن الله يُرى في الآخرة، أو يؤمن بصفاته وقـدرتـه الكـاملة ومشيئته الشاملة، ويُكفّرونَ من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فإنهم يمسحون القدمين دون الخفين[1]، ويُؤخرّون الفطور والصلاة إلى طلوع النجم[2]، ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر، ويقنُتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفُقَّاع[3]وذبائح من خالفهم من المسلمين لأنهم عندهم كفار، ويقـولـون على الصحابة أقوالاً عظيمة لا حاجة إلى ذكرها ها هنا[4]، إلى أشياء أُخَرَ، فقاتلهم المسلمون بأمر الله ورسوله.

فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادتهم العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتـالهم، فيُعلم أن المنتسبَ إلى الإسـلام في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام والسنة، حتى يدَّعي السنةَ من ليس من أهلها، بل يمرق منها وذلك بأسباب، منها:

الغلو الـذي ذمـه الله في كتابه حيث قال: ﴿قل يا أهل

---

(١) أي: في الوضوء، وانظر «تفسير القرطبي» (٦/ ٩١ ـ ٩٦).

(٢) ويُشابههم اليوم ـ فوا أسفي الشديد ـ كثير من المسلمين الجهلة بسنة الرسول ﷺ، وانظر رسالة «فتح الغفور بشرح حديث «عجلوا الفطر وأخروا السحور» لأخينا في الله الشيخ محمد موسى نصر حفظه الله.

(٣) هو شراب يُتخذ من الشعير.

(٤) وللمصنف رحمه الله كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» من أعظم ما صُنّف في هذا الباب.

الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧] وقال النبي ﷺ «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الـدين» وهـو حديث صحيح[1]. ومنهـا التفـرق والاختلاف الذي ذكره الله في كتابه[2].

ومنها أحاديث تُروى عن النبي ﷺ وهي كَذِبٌ عليه باتفاق أهل المعرفة، يسمعها الجاهلُ بالحديث فيصدقُ بها لموافقة ظنه وهواه. وَأَضلُّ الضلال اتباع الظن والهوى كما قال تعالى في حق من ذمهم ﴿إن يتبعـون إلا الـظن وما تهوى الأنفس﴾ [الآية النجم: ٢٣] وقال في حق نبيه: ﴿والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم ١، ٢، ٣] فنزهه عن الضلال والغواية اللَّذين هُما الجهل والظلم، فالضالُّ الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه، وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحيٌ أوحاه الله إليه، فوصفه بالعلم ونزَّهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامعَ من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب إلى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الضالين، وهي فصول.

(١) رواه النسائي (٥/٢٦٨) وابن ماجة (٣٠٢٩) وأحمد (١/٢١٥ و ٣٤٧) وابن حبان (١٠١١) والحاكم (١/٤٤٦) والبيهقي (٥/١٢٧) وابن خزيمة (٢٨٦٧) والطبراني في الكبير (١٢٧٤٧) عن ابن عباس.

(٢) وقد تقدم شيء من ذلك من كلام المصنف نفسه.

الفَصْلُ الأوّل

[العقائد: صحيحها وباطلها]

أحاديثُ رَوَوْها في الصفاتِ زائدة على الأحاديث التي في دواوين الإِسلام مما يُعلم باليقين القاطع أنها كذب وبهتان بل كفر شنيع، وقد يقولون من أنواع الكفُر ما لا يروون فيه حديثاً مثل حديث يروونه: «إن الله ينزل عشية عرفة على جملٍ أَوْرَقَ يصافح الركبان ويعانق المشاة» وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله، وقائله أعظم القائلين على الله غير الحق، ولم يرو هذا أحدٌ من علماء المسلمين أصلاً، بل أجمع علماء المسلمين وأهل الحديث على أنه مكذوب على رسول الله ﷺ مختَلقٌ عليه.

وقال بعض أهل العلم كابن قُتيبة[1] وغيره: وهذا وأمثاله إنما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به أهل الحديث ويقولون انهم يروون مثل هذا.

وكـذلـك حديث آخر فيه، أنه رأى ربه حين أفاض من مزدلفـة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف أو ما يشبه هذا

(١) انظر «تأويل مختلف الحديث» (ص ٨ و ٩) له.

البهتان والافتراء على الله الذي لا يقوله مَنْ عرف الله ورسوله.

وهكـذا حديث فيه «إن الله يمشي على الأرض» فإذا كان موضع خضرة قالوا: هذا موضع قدميه ويقرؤون ﴿فانظُر إلى آثار رحمة الله﴾ [مريم: ٥٠] وهذا أيضاً كذب باتفاق العلماء، ولم يقل الله: «فانظر إلى آثار خطى الله».

وإنما قال ﴿آثار رحمة الله﴾ ورحمة الله هنا هي المطر[١]، وآثارها النبات وهكذا أحاديث في بعضها أن محمداً رأى ربه في الطواف، وفي بعضها أنه رآه وهو خارج من مكة، وفي بعضها أنه رآه في بعض سكك المدينة، إلى أنواعٍ أُخَرَ، وكل حديث فيه أن محمداً رأى ربه بعينه في الأرض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم.

هذا شيءٌ لم يقله أحدٌ من المسلمين ولا رواه أحد منهم، وإنما كان النزاع بين الصحابة هل رأى ربه ليلة المعراج، وكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر أهل السنة يقولون إن محمداً رأى ربه ليلة المعراج، وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك، ولم ترو عائشة في ذلك شيئاً عن النبي ﷺ ولا سألته عنه[٢] ولا نقل عن الصِّدِّيق فيه شيءٌ كما يرويه ناس من الجُهّال أن

(١) «زاد المسير» (٦/ ٣١٠).

(٢) بل روى مسلم في «صحيحه» (رقم: ١٧٧) أنها سألته، وفيه أيضاً نفي الرؤية، وورد ذلك أيضاً في «صحيح البخاري» (٤٨٥٥).

أباها سأل النبي ﷺ فقال: نعم فقال لعائشة: لا، فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء.

ولهذا ذكر القاضي أبو يَعْلى[1] وغيره أنه اختلفت الرواية عن الإمام أحمد، هل يقال: بعيَني رأسه أو بعيني قلبه، أو يقال: رآه، ولا يقال: بعيني رأسه ولا بعيني قلبه؟ ثلاث روايات.

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم أنه قال: «رأيت ربي في صورة كذا» يُروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه «أنه وضع كتفَيه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله على صدري»[2] وهذا الحديث لم يكن ليلة المعراج، فإنّ هذا كان في المدينة، وفيه أن النبي ﷺ احتبس عن صلاة الفجر ثم خرج عليهم فقال: رأيت كذا وكذا[3]، وهي من رواية من لم يصل خلفه إلا بالمدينة كأم الطفيل ومعاذ[4] وغيرهما، والمعراج إنما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة

---

(١) هو محمد بن الحسين ابن الفرّاء، توفي سنة (٤٥٨ هـ)، ترجمته في «طبقات الحنابلة» (٢/١٩٣ - ٢٣٠) و «الوافي» (٣/٧) و «الشذرات» (٣/٣٠٦)

(٢) أخرجه عن ابن عباس، الترمذيُّ (٣٢ ٣٢) وأحمد (١/٣٦٨)، ولم اجده في «المسند» عن أم الطفيل، وانظر رسالة «اختيار الأَوْلى في شرح حديث اختصام الملأ الاعلى» للحافظ ابن رجب الحنبلي.

(٣) رواه هكذا عن ثوبان البغوي (٩٢٥).

(٤) حديث معاذ أخرجه أحمد (٥/٢٤٣) والترمذي (٣٣ ٣٢).

كما قال تعالى: ﴿سبحانَ الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الاسراء: ١].

هذا الحديث كان رؤيا مناماً بالمدينة كما جاء مُفسَّراً في كثير من طرقه مع أن رؤيا الأنبياء وحي لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج.

وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينه في الأرض وليس عن النبي ﷺ قط حديثٌ فيه أن الله ينـزل إلى الأرض بل الأحاديث الصحيحة المعروفة: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(١).

وثبت في «الصحيح»: «إن الله يدنـو عشية عرفـة ـ وفي رواية: إلى سماء الدنيا فيباهي الملائكة بأهل عرفة فيقول:انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثا غُبْراً ما أراد هؤلاء»(٢).

وقد رُوي أن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان ـ إن صح الحديث ـ فإنه مما تكلم فيه أهل العلم(٣).

(١) ثبت عن عدد من الصحابة، مثل أبي هريرة، رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) وللمصنف رحمه الله «شرح حديث النزول» فريدٌ في بابه.

(٢) رواه مسلم (١٣٤٨) والنسائي (٥/٢٥١) وغيرهماعن عائشة.

(٣) حديث صحيح لغيره، روي عن جماعة من الصحابة، فرواه عن معاذ

وكذلك ما رواه بعضهم أن النبي ﷺ لما نزل من حراء تبدّى له ربه أو الملك على كرسي بين السماء والأرض، غلطٌ باتفاق أهل العلم بل الذي في الصحاح: أن الذي تبدّى له الملك الذي جاءه بحراء في أول أمره فقال له: اقرأ، فقلت: لست بقارىء، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: لست بقارىء، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: لست بقارىء، فأخذني في الثالثة، فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ١ ـ ٥][1].

فهذا أول ما نزل، ثم جعل النبيُّ ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال: «فبينما أنا أمشي اذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا هو الملك الذي جاءني بحراء أراه بين السماء والأرض» رواه جابر في الصحيحين.[2]

= ابن ابي عاصم (٥١٢) وابن حبان (١٩٨٠) وابو نعيم ١٩١/٥ وعن أبي ثعلبة ابنُ أبي عاصم (٥١١) وعن عبدالله بن عمرو أخرجه أحمد (رقم ٦٦٤٢) وعن أبي موسى رواه ابن ماجة (١٣٩٠) وابن أبي عاصم (٥١٠) وقد ورد أيضاً عن أبي هريرة، وأبي بكر، وعوف بن مالك، وعائشة، وانظر «سلسلة الاحاديث الصحيحة» (١١٤٤).

(١) رواه البخاري (رقم ٣) ومسلم (١٦٠) والترمذي (٣٦٣٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٤) و (٣٢٣٨) و (٤٩٢٢) ومسلم (١٦١).

فأخبر أنه الملك الذي جاءه بحراء بين السماء والأرض، وذكر أنه رعب منه، فوقع في بعض الروايات الملك، فظن القارىء أنه الملك وأنه الله، وهذا غلط وباطل.

وبالجملة أن كلَّ حديث فيه رأى ربه بعينيه في الأرض أو نزل له: إلى الأرض، وأن رياض الأرض من خطوات الحق، وأن الله وطىء على صخرة بيت المقدس، فكلُّ هذا كَذِبٌ باطلٌ باتفاق المسلمين من أهل الحديث وغيرهم.

وكذلك كل من ادّعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلةٌ باتفاق أهل السنة والجماعة، بل اتفقوا جميعُهم من أن أحد المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في «صحيح»[1] مسلم عن النوَّاس رضي الله عنه، عنه ﷺ أنه لما ذكر له الدجال قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»، وكذلك رُوي هذا عن النبي ﷺ من وجوه يُحَذِّر أمته فتنة الدجال ويبُين لهم أن أحداً منهم لن يرى ربه حتى يموت، فلا يظن أحد أن هذا الدجال الذي رآه هو ربه، ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهداتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة، قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «الإِحسان أن تعبد الله كأنك تراه ـ الحديث»[2].

---

(١) برقم (٢٩٣٧) ورواه أبو داود (٤٣٢١) والترمذي (٢٢٤١).

(٢) رواه مسلم (٨) عن عمر، ورواه البخاري (٥٠٤) ومسلم (٩) عن =

وقد يرى المؤمنُ ربَّه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإن كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه[1].

ورؤيا المنـام لها حكم غير الحقيقة في اليقظة، فلها تعبير وتـأويل لما فيهـا من الأمثـال المضروبة للحقائق، وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضاً من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام، فيرى في قلبه مثل ما يرى النائم وقد تَجلَّى له من الحقائق ما يشهد في قلبه . .

فهذا كله يقع في الدنيا وربما غلب على أحدهم ما شهده قلبـه ومجتمـع حواسـه، فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام.

وربما علم في المنام أنه منام، فهكذا من العُبّاد ما يحصل له مشاهدة قلبه حتى تغنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤيا بعينه وهو غالطٌ في ذلك.

وكلُّ من قال من العباد المتقدمين والمتأخرين أنه رأى ربه بعَيْني رأسه فهو غالطٌ في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان.

نعم رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضاً

= أبي هريرة

(١) وهي ـ على كل حال ـ رُؤى منامية ليست حقيقية، فيها للمؤمن طمأنةٌ وبشرى.

للناس في عَرَصات[1] القيامة كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ أنـه قال: «إنكم سترون ربكم في الجنـة كما ترون الشمس في الـظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب»[2]، وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «جنان الفردوس أربع: جنتان من ذهب وآنيتهـما وما فيهما، وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما،وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلى رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن[3]»

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُبَيِّضْ وجوهنا؟ ويُثقل ميزاننا؟ ويدخلنا الجنة؟ ويُجِرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة[4]»

وهذه الأحاديث وغيرها في «الصحاح»، وقد تلقَّاها السلف

---

(١) هي الطرقات الواسعة.

(٢) رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) وأبو داود (٤٧٢٩) والترمذي (٢٥٥٤) عن جرير بن عبدالله، ورُوي عن غيره من الصحابة.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٤٨١) ومسلم (١٨٠) والترمذي (٢٥٣٠).

(٤) رواه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٥) عن صهيب الرومي، والزيادة المـذكـورة هي الـواردة في قولـه سبحانه: ﴿للذين أحسنوا الحُسنىٰ وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].

والأئمـة بالقَبـول، وقـد اتفق عليها أهل السنة والجماعة وإنما يُكذِّب بها أو يُحرِّفها الجهميةُ وَمنْ تبعهم من المعتزلةِ والرافضة ونحوهم الذين يُكذّبون بصفات الله وبرؤيته وغير ذلك، وهم من المعطلة شرارُ الخلق والخليقة.

ودينُ الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله ﷺ من رؤيته في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا وكلاهما باطل.

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم أنه يراه بعيني رأسه هم ضُلَّالٌ كما تقدم، فإنْ ضَمُّوا إلى ذلك أنهم يرونه في بعض الأشخاص: إما بعض الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم، عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضلَّ من النصارى الذين يزعمـون أنهم رأوه في صورة عيسى، بل هم أضـلُّ من أتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ويقول للناس: أنا ربكم، ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها[1].

وهذا الذي حذّر منه النبي ﷺ أمته وقال: «ما من خلق آدم إلى يوم القيامة فتنة أعظم من الدجال»[2]. وقال: «إذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع: ليقل اللهم إني أعوذ

---

(١) كما في حديث النوّاس المتقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٤٣١٩) عن عمران بن حصين.

بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»[1]

فهذا الذي ادعى الربوبية لعله أتى بشبهات فَتَنَ بها الخَلْقَ حتى قال فيه ﷺ: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»[2]، وقال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[3]، فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميعُ الناس لعلمه ﷺ أن من الناس مَن يضل فيجُوّز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضُّلَّال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يُسمَّوْن الحُلولية والاتحادية وهم صنفان:

قوم يخصونه بالحلول والاتحاد في بعض الأشياء كما تقوله النصارى في المسيح والغالية في علي رضي الله عنه، وقوم في أنواع من المشايخ، وقوم في بعض الملوك، وقوم في الصور الجميلة، إلى غير ذلك من الأقوال التي هي شر من مقالات النصارى.

وصنف يُعَمِّمون فيقولون بحلوله واتحاده في جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقوله قوم من الجهمية ومن تبعهم[4] من الاتحادية كأصحاب ابن عربي

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٩) عن أبي هريرة بلفظ «استعيذوا بالله من . . .»

(٢) رواه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) وأبو داود (٤٣١٦) والترمذي (٢٢٤٦) عن أنس، وورد أيضاً عن ابن عمر.

(٣) تقدم تخريجه في حديث النواس.

(٤) ومثل ذلك ما يقوله كثير من العامة في بلاد المسلمين اليوم أن الله في

وابن الفارض وابن سَبْعين والتِّلِمْساني[1]وغيرهم.

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتاب أن الله سبحانه وتعالى ربُّ العالمين وخالق السموات والأرض وما بينهما وربُّ العرش العظيم، والخلقُ جميعهم عبادُه، وهم فقراءُ إليه وهو الله سبحانه وتعالى فوق السموات على عرشه بائن من خلقه[2]، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا عالم بهم قادر عليهم مدبر لهم كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ الآية [الحديد: ٥٧].

فهؤلاء الضُّلَّال الكفار الذين يزعُم أحدهم أنه يرى ربه بعينه وربما زعم أنه جالسه أو حادثه أو ضاجعه! وربما يُعين أحدهم آدميًا إما شيخاً أو صبياً أو غير ذلك ويزعم أنه هو كلمه، يُستتابون، فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم وكانوا كفاراً، إنهم أكفرُ من النصارىَ الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، فإن المسيح رسولٌ كريمٌ وجيهٌ عند الله في الدنيا والآخرة ومن

= كل مكان!! وحاشاه سبحانه.

(١) انظر كلام المصنف رحمه الله عن هؤلاء في «مجموع الفتاوي» (٤/١٣١) و (٤/٧٣ ـ ٧٥) وانظر (٣٦/٣٢) و (٤/١٠٣)

(٢) وللمصنف رحمه الله فتاوٍ كثيرة، ورسائل وفيرة في إثبات ذلك ولتلاميذه من بعده أيضاً، كابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» والذهبي في «العلو للعلي الغفار» وغيرهما.

المقربين، فإذا كان الذين قالوا إنه هو الله وإنه اتحد فيه أو حل فيه قد كفّرهم وعظّم كُفْرَهم، بل الذين قالوا إنه اتخذ ولداً حتى قال: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً لقد جئتم شيئاً إدًّا، تكادُ السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا﴾ الآية [مريم: ٨٨ - ٩٠] فكيف بمن يزعم بشخص من الأشخاص أنه هو؟ أليس هذا أكفرَ من الغالية الذين يزعمون أن علياً أو غيره من أهل البيت هو الله؟ وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرَّقهم عليٌّ بالنار وأمر بأخاديد[1] خُطَّت لهم عند باب كِنْدة بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا أحرقهم بالنار، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم لكنّ ابن عباس كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف لا تحريقاً وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء[2].

---

(١) جمع أخدود، وهو الحفرة المستطيلة تُحفر في الأرض.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٧/٢٨٨ - ٣١١).

الفَصْلُ الثَّاني

[انحرافات الدعوة والتصور]

وكذلك الغلوّ في بعض المشايخ، إما في الشيخ عدي أو يونس القُنيني[1] أو الحلّاج[2] أو غيرهم، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، وكل من غلا بنبي أو رجل صالح، إما مثل علي أو عدي أو فيمن يُعتقد فيه الصلاح كالحلّاج أو الحاكم[3] الذي كان بمصر قوم ويونس القُنيني ونحوهم وجعل فيه نوعاً من الإلٰهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي، أو يعبده بالسجود أو لقبره، أو يدعوه من دون الله مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجِرْني، أو توكلت عليك، أو أنت في حسبي، أو أنا في حسبك، ونحوه.

(١) كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى: القُنّي، وقد توفي سنة (٦١٩ هـ) ترجمته في «وفيات الأعيان» (٧/٢٥٦) و «الشذرات» (٥/٨٧)
(٢) انظر كلام المصنف حوله في «مجموع الفتاوي» (٢/٤٨٠) و (٣٥/١٠٨)
(٣) انظر «مجموع الفتاوي» (٣٥/١٣٥).

هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده لا شريك له ولا يجعل معه إلٰهاً آخر.

والذين كانوا يدعون مع الله آلهةً أخرى، مثل: الشمس والقمر والكواكب والعُزَير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق وغير ذلك، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تُنزل المطر أو أنها تُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والجن والكواكب والتماثيل المصورة لهؤلاء ويعبدون قبورهم، ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفى، ويقولون: هم شفعاؤنا عند الله، فبعث الله رسله تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاءَ استغاثة.

وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء: ٥٥ ـ ٥٧].

قال طائفةٌ من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة وقال الله لهم: هؤلاء الذين تدعون يتقربون إلي كما تتقربون إليَّ، ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي

كما تخافون عذابي[1]، وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سبأ: ٢١ ـ ٢٢]، فأخبر سبحانه أنَّ مَنْ يُدعى من دونه ليس له مثقالُ ذرة من الملك ولا شرك وأنه ليس له من الخلق عونٌ يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعاً﴾ الآية [الزمر: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [يونس: ١٨].

وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب. قال تعالى: ﴿واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا أَجَعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦]. وقال

(١) «زاد المسير» (٥/٤٩ ـ ٥٠).

تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نُوحي إليه أنَّه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكـان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده»[١]، وقال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا: ماشاء الله وحده»[٢].

ونهى عن الحلف بغير الله فقال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٣]، وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[٤]، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[٥].

---

(١) أخـرجـه أحمد (١/٢١٤ و ٢٨٣ و ٣٤٧) والبخاري في «الأدب» (٧٨٧) وابن ماجة (٢١١٧) والطحاوي في «المشكل» (١/٩٠) عن ابن عباس وصححه شيخنا الألباني في «السلسلة» (١٣٩)

(٢) رواه أحمـد (٥/٧٢) والدرامي (٢٧٠٢)، وابن ماجـة (٢١١٨) والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤) عن الطفيل بن سخبرة، وصححه شيخنا الألباني في «السلسلة» (١٣٨).

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦) ومالك (٢/٤٨٠/١٤) وأبو داود (٣٢٤٩) وغيرهم عن ابن عمر.

(٤) اخرجه الترمذي (١٥٣٥) وأبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (١١٧٧) والحـاكم (٤/٢٩٧) و (١/١٨) والبيهقي (١٠/٢٩) والـطيالسي (١٨٩٦) وأحمد (٢/٣٤ و ٦٧ و ٦٩ و ٨٦ و ١٢٥) عن ابن عمر، بإسناد حسن

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٥).

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها، ونهى النبي ﷺ عن السجود له، وقال: «لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»(١)، وقال لمعاذ بن جبل: «أرأيتَ لو مررتَ بقبري أكنتَ ساجداً لي؟ قال: لا، قال: فلا تسجد لي»(٢) ونهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا» قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً(٣).

وفي «الصحيح» أنه قال قبل أن يموت بخمس: «أن من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»(٤)، وقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور

---

(١) رواه الترمذي (١١٥٩) عن أبي هريرة، ورواه أحمد (٦/٧٦) وابن ماجة (١٨٥٢) عن عائشة وهو حديث صحيح، وقد توسع في تخريجه أستاذنا الالباني في «إرواه الغليل» (١٩٩٨) فيراجع.

(٢) إنما ورد ذلك في حديث قيس بن سعد أخرجه أبو داود (٢١٤٠) والحاكم (٢/١٨٧) والبيهقي (٧/٢٩١) وفي إسناده شريك القاضي وهو سيء الحفظ، ولم أجده عن معاذ.

(٣) رواه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩) عن عائشة.

(٤) رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب.

أنبيائهم»(1)، وقال: «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عَلّيَّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني»(2). ولهذا اتفق أئمة الإسلام أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقولون: الصلاة عندها باطلة(3).

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن، قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ [التوبة: ٨٤]، فكان دليل الخطاب أن المؤمنين يُصلى عليهم، ويُقام على قبورهم. وكان النبي ﷺ يُعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»(4).

(١) رواه أحمد (رقم ٧٣٥٢) وابن سعد (٢/٢٤١ - ٢٤٢) و الحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم (٦/٢٨٣) و (٧/٣١٧) عن أبي هريرة.

(٢) اخرجه ابو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٢/٣٦٧) عن أبي هريرة بإسناد حسن.

(٣) انظر أقوال العلماء في ذلك في كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» لشيخنا الالباني حفظه الله تعالى.

(٤) رواه مسلم (٩٧٥) والنسائي (٤/٩٤) إلى قوله: اللهم لا تحرمنا أجرهم... إلخ، فلم أره فيهما.

وذلـك لأن من أكـبر أسبـاب الأوثان كان تعظيم القبور بالعبادة ونحوها. وقال تعالى في كتابه: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ [نوح: ٢٣]، قال طائفة من السلف: كانت هذه أسماء قوم صالحين، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها(١)، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبيِّ ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحُجرته ولا يُقبّلها(٢)، لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله، فلا يُشبّه بيتُ المخلوق ببيت الخالق، وكذلك الطواف والاجتماع للعبادات إنما تُقصد في بيوت الله، وهي المساجد التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا تُقصد بيوتُ المخلوقين فتتخذ عيداً كما قال ﷺ: «لا تتخذوا بيتي عيداً».

كل هذا لتحقيق التـوحيد الـذي هو أصلُ الدين ورأسهُ الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيما﴾ [النساء: ٤٨].

ولهذا كانت كلمةُ التوحيد أفضلَ الكلام وأعظَمه، فإن

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٩) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) وللمصنف رحمه الله تعـالى كتاب «الجواب الباهر في زوار المقابر» وكتاب «الرد على الأخنائي» كلاهما في مسائل الزيارة.

أعظم آية في القرآن آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(١) والإله هو الذي تألهُ القلوب عبادة له واستغاثة به ورجاءً له وخشيةً وإجلالاً وإكراماً.

---

(١) أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١/٣٥١) عن معاذ بن جبل بإسناد صحيح.



الفصل الثالث

[الاتباع والابتداع]

ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتِّباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان، مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات، فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة أن القرآنَ كلامُ الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هكذا قال غيُر واحدٍ من السلف(١).

ورُوي عن سفيان بن عيينة(٢) عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الأعيان قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك والقرآن الذي أنزل الله على رسوله محمد ﷺ هو هذا القرآن الذي يقرأه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وإن تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فإن الكلام كلام لمن قال مبتدأ لا لمن قال مبلغاً مؤيداً. قال تعالى: ﴿وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦].

وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى: ﴿بل هو قرآن

---

(١) انظر تفصيل ذلك في «مجموع الفتاوي» (١٢/ ٤٠) للمصنف.

(٢) «الرد على الجهمية» (ص ١٠٠ ـ ١٠١) للدارمي

مجيد في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وقال: ﴿يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾ [البينة: ١ - ٣]، وقال: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾[1] [الواقعة ٧٧ - ٧٨]، والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله.

وإعرابُ الحروف هو من تمام الحروف، كما قال النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات»[2].

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: حفظ إعراب القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه.

وإذا كتب المسلمون مصحفاً فإن أحبوا ألا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان في الصحابة من يكتبون ذلك بلا

---

(١) قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي: في استدلال المؤلف بالآيات [هذه] على أن القرآن هو المكتوب في المصاحف التي بأيدينا نظرٌ، فإن المراد باللوح المحفوظ والكتاب المكنون ما كان مكتوباً فيه القرآن قبل أن ينزل، يدل على ذلك أن سياق الكلام في نفي شبهة عن القرآن أن يكون مفترى على الله كذباً، فبين أن هذا القرآن كان في موضع لا تصل إليه أيدي العابثين، فكان في مأمن من التغيير والتحريف، فلا اختلاف!.

(٢) أورده الهيمثي في «مجمع الزوائد» (١٦٣/٧) وعزاه للطبراني في «الأوسط» ثم قال: وفيه نهشل، وهو متروك. قلتُ: وقد صحّ الحديث دون قوله: «فأعربه»، رواه الترمذي (٢٩١٢) والبخاري في «تاريخه» (٢١٦/١) عن ابن مسعود.

تنقيط ولا تشكيل، لأنهم كانــوا عربـاً لا يلحنـون، وهكـذا مصـاحف الأئمة التي بعث بها عثمان إلى الآفاق، ثم في زمن التابعين نشأ اللحن فنُقطت المصاحف وتشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف، وتنازع العلماء في كراهة ذلك، وفيه خلاف عن الإمام أحمد وغيره من العلماء، قيل: يكره ذلك لأنه بدعة. وقيل: لا يكره للحاجة إليه. وقيل: يكره النقط دون الشكل لبيان الإعراب[1].

والصحيح أنه لا بأس به.

والتصديقُ بما ثبت عن النبي ﷺ «إن الله يتكلم بصوت»[2] و «يُنـادي آدم يوم القيامـة بصـوت»[3] إلى أمثـال ذلـك من الأحاديث، فهذه الجملة كان عليها سلفُ الأمة وأئمة أهل السنة.

قال أئمـةُ السنة: كلام الله غير مخلوق حيث تُلي وحيث كُتب، فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن إنها مخلوقة لأن ذلك يدخل فيه القـرآن المنزل. ولا يقال: غير مخلوقة لأن ذلك يدخل فيه أفعال العباد ولم يقل أحد قط من أئمة السلف أن أصوات العباد

---

(١) انظر ما قاله المصنف في «مجموع الفتاوي» (١٢/ ١٠٠ ـ ١٠٢)

(٢) علقـه البخـاري في «صحيحـه» (١٣/ ٤٥٣ ـ فتح) وقال الحافظ: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد، وأبو يعلى، والطبراني.

(٣) رواه البخاري (٧٤٨٣) عن أبي سعيد.

بالقرآن قديمة، بل أنكروا على من قال: لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق[1].

وأمـا من قال: إن المداد قديم، فهذا من أجهل الناس وأبعدهم عن السنة، قال الله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [الكهف: ١٠٨] فأخـبر أن المداد يكتب به كلماته، وكذلك من قال: ليس القرآن في المصحف وإنما في المصحف مداد وورق أو حكاية أو عبارة، فهذا مبتدع ضال، بل القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين اللوحين.

والكـلام في المصحف على الـوجه الذي يعرفه الناس له خصائص يمتاز بها على سائر الأشياء، وكذلك من زاد على السنة فقال: إن أصوات العباد وألفاظهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال: إن الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فإنه أيضاً مبتدع منكر للسنة، وكذلك من زاد وقال: إن المداد قديم فهو ضال، كمن قال: ليس في المصحف كلام الله.

وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون: إن الورق والجلد والـوتـد، وقـطعة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول: ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه.

هذا الغلو من جانب الإثبـات يقابل ذلك التكذيب من

---

(١) انظر «خلق أفعال العباد» للبخاري، ففيه تفصيلٌ مفيد.

جانب النفي ، وكلاهما خارج عن السنة والجماعة ، وكذلك إفراد الكلامِ في النقطة والشكلة بدعةٌ نفياً وإثباتاً ، وإنما حدثت هذه البدعةُ من قريب من مئة سنة أو أكثر بقليل ، فإنّ من قال : إن المِداد الـذي ينقط به الحروف ويشكل به قديم ، فهو ضال مبتدع ، ومن قال : إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن ، فهو ضال مبتدع ، بل الواجب أن يقال : هذا القرآن العربي هو كلام الله ، وقد دخل في ذلك حروفه بإعرابها كما دخلت معانيه ، فإن كان المصحفُ منقوطاً مشكلاً ، أطلق على ما بين اللوحين أنـه كلام الله ، وإن كان غير منقـوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة كان أيضاً ما بين اللوحين هو كلام الله ، فلا يجوز أن تُلقى الفتنةُ بين المسلمين بأمرٍ مُحدَث ونزاعٍ لفظي لا حقيقة له ولا يجوز أن يُحْدَثَ في الدين ما ليس منه .

الفصل الرابع

[موقفنا من الصحابة]

وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقرابة، فإن الله قد أثنى على أصحاب نبيه من السابقين والتابعين لهم بإحسان وأخبر أنه قد رضي عنهم ورضوا عنه وأنه ذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٨] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ الآية [الفتح: ١٨].

وفي الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١)، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر». (٢) واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) وأبو داود (٤٦٥٨) والترمذي (٣٨٦٠) عن أبي سعيد، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة.
(٢) انظر بيان ذلك في «كتاب فضائل الصحابة» (١/٧٦ ـ ٩٢) بتخريج =

عثمان بعد عمر، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»[1] وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[2]، فكان عليٌّ آخر الخلفاء الراشدين المهديين.

وقد اتفق أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير، ليس هذا موضعه.

وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بين الصحابة، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وبعضه كانوا فيه مجتهدين، إما مصيبين لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح، مغفورٌ لهم خطؤهم وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة كما قال النبي ﷺ: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين

= الشيخ وصي الله بن محمد عباس.

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٢٠ و ٢٢١) والترمذي (٢٢٢٧) وأبو داود (٤٦٤٧) وابن حبان (١٥٣٤) و (١٥٣٥) والبغوي (٣٨٦٥) عن سفينة، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وأحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجه (٤٢) و (٤٣) والدارمي (١/ ٤٤) والحاكم (١/ ٩٥) عن العرباض بن سارية، وسنده صحيح.

يلونهم ثم الذين يلونهم»[1] وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، ونعلم مع ذلك أن علي بن أبي طالب كان أفضلَ وأقربَ إلى الحق ممن قاتله مع معاوية لما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»[2] وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن علياً أقرب إلى الحق.

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما فاتّبعوا النصوص التي سمعوها في الإمساك عن القتال في الفتنة[3] وعلى ذلك أكثُر أهل العلم، وأهل الحديث.

وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب

---

(١) ورد بلفظ: «خير الناس القرن. . .» الخ، رواه البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) والترمذي (٢٢٢٢) وأبو داود (٤٦٥٧) والنسائي (١٧/٧ و١٨) عن عمران بن حصين. . .

(٢) أصله في «الصحيحين» ورواه بهذا اللفظ مسلم (١٠٦٥) وأبو داود (٤٦٦٧) ولفظه: «. . . أَوْلَى. . . .».

(٣) كقوله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأً أو معاذاً. فليعذ به» رواه البخاري (٧٠٨١) ومسلم (٨٨٦) وأحمد (٢٨٢/٢) والبغوي (٤٢٢٩) عن أبي هريرة.

رعايتها فإن الله تعالى جعل لهم حقاً في الخُمُس والفيء[1]، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسوله فقال لنا: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبـراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[2].

وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة، هكذا قال الشافعي وأحمد وغيرهما من العلماء، فإن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»[3]، وقد قال الله تعالى: ﴿إنـما يريد الله ليذهب عنكم الـرجس أهل البيت ويطهركم تطهـيراً﴾ [الإحزاب: ٣٢ ـ ٣٣]، وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس[4]، وقد قال بعض السلف: حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق، وحب بني هاشم إيمان وبغضهم نفاق.

وفي المسانيد والسنن أن النبي ﷺ قال للعباس لما شكا إليه

---

(١) كما في الآية (٤١) من سورة الأنفال، و(٤٨) من سورة الحشر، وانظر «زاد المسير» (٣/٣٥٨ ـ ٣٦٠).

(٢) ورد عن غير واحد من الصحابة، منهم كعب بن عجرة، رواه عنه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦) والترمذي (٤٨٣) وأبو داود (٩٧٦) والنسائي (٣/٤٧).

(٣) رواه مسلم (١٠٧٢) عن ربيعة بن الحارث.

(٤) كما في تمام لفظ الحديث السابق.

جفوة قومه لهم: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي»[1]، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى بني كنانةَ من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم»[2].

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الأمة بعده، صار قوم ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن علي، مثل كثير من أهل الشام ممن كان إذ ذاك يسبُّ علياً ويبغضه، وقوم ممن يحب علياً ويغلو فيه، ينحرف عن عثمان، مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغضه ويسبُّه، ثم تغلظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبّوا أبا بكر وعمر، وزاد البلاء بهم حينئذ.

والسنة محبة عثمانَ وعليٍّ جميعاً، وتقديم أبا بكر وعمر عليهما لَمِا خصهما الله به من الفضائل التي سبقا بها عثمان وعلياً جميعاً، وقد نهى الله في كتابه عن التفرق والتشتت، وأمر بالاعتصام بحبله، فهذا موضع يجب للمؤمن أن يتثبت فيه ويعتصم بحبل الله، فإن السنة مبناها على العلم والعدل، والاتباع لكتاب الله

---

(١) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، ورواه أحمد في «المسند» (١/٢٠٧) وفي «فضائل الصحابة» (١٧٥٧) والترمذي (٣٧٥٨) والطيالسي (٢/١٤٧) والحاكم (٣/٣٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) والترمذي (٣٦٠٩) و (٣٦١٢) عن واثلة بن الأسقع.

وسنة رسوله .

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من سب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت أشياء قد ذكرنا حكمهم في غير هذا الموضع[1]، ولم يكن أحد إذ ذاك يتكلم في يزيد بن معاوية[2] ولا كان الكلام فيه من الدين، ثم حدث بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعن يزيد وربما كان غرضهم في ذلك التطرق إلى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه، فسمع بذلك قوم ممن يتسنن فاعتقدوا أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الكلام فيه على طرفي نقيض، هؤلاء يقولون إنه كافر زنديق قتل ابن بنت رسول الله ﷺ الحسين وقتل الأنصار وسباهم بالحَرَّة[3] ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قُتلوا كفاراً مثل جد أبيه لأمه عُتبة وابنه الوليد وغيرهما، ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر وإظهار الفواحش أشياء، وأقوام يعتقدون أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً وأنه كان من الصحابة أو أكابر الصحابة، وأنه كان من أولياء الله وربما اعتقد بعضهم أنه من الأنبياء «ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم».

---

(١) راجع «منهاج السنة النبوية» للمصنف.

(٢) وللمصنف رسالة مفردة فيه، وانظر «منهاج السنة» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٥٤) له.

(٣) انظر «الكامل» (٣/ ٣١٠ ـ ٣٣٠) لابن الأثير.

ويروون عن الشيخ حسن بن عدي[1] أنه قال: كذا وكذا أولياء وقفوا على النار لوقوفهم في يزيد، وفي زمن الشيخ حسن زادوا في السنة أشياء باطلة نظمًا ونثراً وغلوًّا في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير، فإن طريقته كانت سليمة لم يكن فيها شيء من هذه البدع، وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسن وجَرَت فتنٌ لا يحبها الله ولا رسوله.

وهذا الغلوُّ في يزيد من الطرفين خلافٌ لما أجمع عليه أهل العلم والإيمان، فإن يزيد ولد في خلافة عثمان لم يدرك النبي ﷺ ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح، وكان من شباب المسلمين، ولا كان كافراً ولا زنديقاً، وتولّى بعد وفاة أبيه، على كراهةٍ مِنْ بعضِ المسلمين ورضىً مِنْ بعضهم، وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكُ مظهراً للفواحش كما يَحكي عنه بعضُ خصومه، وجرت في إمارته أمورٌ عظيمةٌ، أحدها مقتل الحسين وهو لم يأمر به ولا أظهر الفرح به، ولا نَكَتَ بالقضيب على ثناياه،[2] ولا حمل رأس الحسين إلى الشام، لكنْ أمَرَ بمنع الحسين وإمساكه وبدفعه عن الأمر، ولو

---

(١) توفي (٦٤٤ هـ) ترجمته في «تاريخ إربل» (١/١١٦) و «العبر» (٥/١٨٣) و «الشذرات» (٥/٢٢٩).

(٢) إشارة من المصنف رحمه الله ردّاً على ما يورده بعض الأخباريين من أنه جيء برأس الحسين بن علي إلى يزيد، فجعل ينكت بالقضيب على أسنانه تعجباً من جماله!!.

كان بقتله، فزاد النـــواب على أمـره، وحضّ الشّمِـر ابن ذي الجَوْشن[1] على قتله، فاعتدى عليه عبيدُ الله بن زياد[2]، فطلب منهم الحسين رضي الله عنه أن يجيء إلى يزيد ابن عمه أو يذهب إلى الثَّغْر مرابطاً أو يذهب إلى مكة، فمنعوه إلا أن يستأسر لهم وأمر عُمَرَ بن سَعْد[3] بقتله، فقتلوه مظلوماً له ولطائفة من أهل بيته.

فكان قتلهُ من المصائب العظيمة، فإنها وقِتْلَةَ عثمان قبلها كانتا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقَتَلَتُهما من شرار الخلق عند الله.

ولما قدم أهله على يزيد أكرمهم وسيّرهم إلى المدينة، وروي عنه أنه لعن عبيد الله بن زياد على قتله، قال: كنت أرضى منه طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين[4]، لكنْ مع هذا لم يظهر منه إنكارُ قتله والانتصارُ له وأخذُ ثأره ما كان هو الواجب، فكان

(١) توفي سنة (٦٦ هـ) ترجمته في «لسان الميزان» (١٥٢/٣) و «الكامل» (٩٢/٤)، وقد أشكل اسمه على ناشري «مجموع الفتاوي» و «مجموعة الرسائل الكبرى» و «الرسالة المفردة» فاضطربوا في إثباته، و الصواب ما أثبتُّ ولله الحمد.

(٢) توفي سنة (٦٧ هـ) ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٤٥/٣) و «تاريخ الطبري» (٢٩٥/٥) و «البداية والنهاية» (٨٢٣/٨).

(٣) توفي سنـة (٦٥ هـ) ترجمتـه في «طبقـات ابن سعـد» (١٦٨/٥) و «المعارف» (٢٤٣) و «تهذيب التهذيب» (٤٥٠/٧)

(٤) «البداية والنهاية» (٢٣٢/٨).

أهل الحق يلومونه على ما تركه من الواجب مضافاً لأمور أخرى، وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء.

وأمـا الأمر الثاني: فإن أهل المدينة نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله، فبعث إليهم جيشاً وأمره إن لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلهـا بالسيف ويُبيحها ثلاثاً، فصار عسكره بالمدينة النبوية ثلاثـاً يقتلون وينهبـون ويفتضّـون الفروج المحرمة، ثم أرسل جيشه إلى مكة فحاصروا مكة وتوفي يزيد وهم مُحاصرونَ مكَّةَ، وهـذا من الظلم والعدوان الذي فُعل بأمره، ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أن لا يُسبّ ولا يُحبّ.

قال صالح بن أحمد[1]: قلت لأبي: إن قوماً يقولون إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني وهل يحبُّ يزيدَ أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر؟! فقلت: يا أبت فَلِمَ لا تلعنهُ؟ فقال: يا بني ومتى رأيت أباك يلعنُ أحداً[2]؟

ورُوي عنه أنه قيل له: تكتبُ الحديثَ عن يزيد؟ قال: لا وكرامة له، أَوَلَيْسَ هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟.

فيزيدُ عند علماء أئمة المسلمين ملكٌ من الملوك لا يحبّونه

(١) هو ابن الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة (٢٦٥)، ترجمته في تهذيب «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٣٢) و «الشذرات» (٢/ ١٤٩).
(٢) وهـذا درسٌ عظيم من إمـام عظيم للدعاة المعاصرين الذين يُرخي بعضهم العنان للسانه دونما خوف أو ورع!!

محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبّونه، فإنهم لا يحبون لعنة المسلم المعيَّن لِمَا روى البخاريُّ في صحيحه عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً كان يدعى حِمَاراً[1] وكان يُكثر شرب الخمر، وكان كلما أُتي به إلى النبي ﷺ ضربه، فقال رجل: لعنه الله ما أكثرَ ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»[2]، ومع هذا فطائفةٌ من أهل السنة تجوِّز لعنته لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يُجَوِّزُ لعنةَ فاعله.

وطائفة أخرى ترى محبته لأنه مسلم، تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون: كانت له محاسنُ، ولم يصحَّ عنه ما نُقل عنه، أو كان مجتهداً فيما فعله.

والصواب ما عليه الأئمة من أنه لا يُخَصُّ بمحبة ولا يُلعن، ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً، فالله يغفر للظالم والفاسق، لا سيما إذا أتى بحسناتٍ عظيمةٍ.

وفي البخاريِّ عن ابن عمر مرفوعاً: «أول جيش يغزو قسطنطينية مغفور لهم»[3]، وأول جيش غزاه كان أميرهم يزيد

---

(١) في الرواية كان اسمه عبدالله، ويلقب حماراً.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب، وانظر «فتح الباري» (١٢/ ٧٨).

(٣) رواه البخاري (٢٩٢٤) وأبو نعيم (٢/ ٦٢) عن أم حرام بنت ملحان، وانظر لزاماً «الفتح» (١٢/ ١٠٢) ففيه مناقشة لطيفة لمن استدل بهذا الحديث لمنقبة يزيد.

ابن معاوية، وكان معه أبو أيوب الأنصاري.

وقد يشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان[1]، فإن يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خيرُ آلِ حَرْب[2]، وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر في فتوح الشام ومشى أبو بكر في رِكَابه[3] يُوصيهُ مشيعاً له، فقال له: يا خليفة رسول الله: إما إن تركب وإما أن أنزل، فقال: لستُ براكب ولستَ بنازل، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله[4].

فلما تُوفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولّى عمرُ مكانه أخاه معاويةَ ووُلد له يزيدُ في خلافة عثمان، وأقام معاويةُ بالشام إلى أن وقع ما وقع[5].

فالواجبُ الاقتصادُ في ذلك، والإعراضُ عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به، فإن هذا من البدع المخالفه لأهل

(١) توفي في سنة (١٨ هـ) ترجمته في «تاريخ خليفة» (١١٩، ١٣٨) و «التاريخ الكبير» (٨/٣١٧) و «المعارف» (٣٤٥).
(٢) انظر «نسب قريش» (١٢٥ ـ ١٢٦).
(٣) قال في «مختار الصحاح» (٢٥٤): الركاب: الإبل التي يُسار عليها، الواحدة: راحلة، ولا واحد لها من لفظها.
(٤) انظر «أسد الغابة» (٥/٤٩١) و «الاستيعاب» (١١/٧٠).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٣٠).

السنة والجماعة، فإنه بسبب ذلك اعتقد قومٌ من الجهّال أن يزيد من الصحابة، وأنه من أكابر الصحابة وأئمة العدل!!.



الفَصْلُ الخَامِسُ

[الحزبيـــة والعصبيـــة]

وكذلك التفريقُ بين الأمة وامتحانُهم بما لا يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يُقال للرجل: أنت شُكيلي أو فَرَقندي[1] فإن هذه أسماءٌ باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة، لا شُكَيلي ولا فَرَقندي، والواجبُ على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شُكَيلي ولا فرقندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله[2].

وقد رُوِّينا أن معاوية سأل ابنَ عباس فقال: أنت من ملة عثمان أو على ملة عليٍّ، فقال: لست على ملة علي ولا ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله ﷺ[3].

وكذلك كان كثيرٌ من السلف يقولون: كل هذه الأهواء في النار.

(١) أسماء لطوائف مبتدعة!!

(٢) دون تفريق وتحزب، كل حزب بما لديهم فرحون!!

(٣) فتدبر!!

ويقـول أحـدُهم: ما أُبالي أيَّ النعمتين أعظم؟ على أن هداني الله للإسلام أو جنَّبني هذه الأهواء واللّهُ تعالى قد سمّانا في القرآنِ المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماءٍ أحدثها قومٌ وسمَّوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان[1].

بل الأسماء التي قد[2] يسوغ التسمِّي بها مثل انتساب إلى إمـام كالحنفي والمـالكي والشـافعي والحنبـلي، أو إلى شيخٍ كالقـادري[3] والعَدَوي ونحوِهم، أو مثل انتساب الى القبائل كَالقَيْسي واليماني أو إلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري.

ولا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يُعـادي عليها[4] بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم ـ من أي

---

(١) وانظر ما رواه أحمد (٤/٢٠٢) والترمذي (٥٨٦٧) و(٢٨٦٨) باسناد صحيح عن الحارث الأشعري.

(٢) قولُهُ: «قد»، يُفيد التشكيك، نعم، فإن للمصنف رحمه الله تفصيلاً دقيقاً في هذه المسألة، انظره في «مجموع الفتاوي» (٣/٣٤٣) و «اقتضاء الصراط المستقيم» (٧١ ـ ٧٢) وانظر «مدارج السالكين» (٢/٣٦٩) و «إيثار الحق على الحق» (٢٧٦ ـ ٢٧٧) و «الاعتصام» (٢/٢٥٩) فإنها مهمة للغاية، تُبين وتؤكد بدعية مثل بعض هذه الانتسابات المفرِّقة المحزِّبة!!

(٣) سبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني!

(٤) وهـذا ـ فوا أسفي الشـديد ـ واقع في كثير من الجماعات والأحزاب الإسلامية حيث توالي من كان فيها، ولا تفعل ذلك مع من خالفها!!

طائفة كان ـ وأولياء الله الذين هم أولياؤه: هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٢]، فقد أخبر تعالى أن أولياءه هم المؤمنون المتقون، وقد بين المتقين في قوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٦].

والتقوى: فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه[١].

وقد أخبر النبي ﷺ عن حال أولياء الله بما صاروا به أولياءه، ففي «صحيح البخاري»[٢] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالُمحاربة، وما تقرّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتهُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرّبُ إلي بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ

---

(١) ولشيخنا الفاضل الأستاذ عبدالودود الزراري قَوَّاهُ الله تعالى كتاب كبير في التقوى وأحوالها، يسَّر اللهُ تعالىٰ نشرَه.

(٢) برقم (٦٠٥٢)، وقد تكلّم كبار الحفاظ قديمًا في إسناد هذا الحديث، لكنْ قال الحافظ في «الفتح» (١١/٣٤١): ولكنْ، للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً .... قلت: ثم ذكرها.

سمعَه الذي يسمع به، وبصَره الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها (فبي يسمع، وبي يُبصر وبي يبطش)[1] ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه، وماترددت عن شيء أنا فاعلهُ ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مَساءَته، ولا بد منه».

فقد ذكر في هذا الحديث[2] أن التقرب إلى الله على درجتين:

أحدهما: التقـرُّب إليه بأداء الفرائض، وهي درجةُ المقتصدين الأبرارِ أصحابِ اليمين.

والثانية: هي التقرُّب إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض وهي درجة السابقين المقربين، كما قال تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون﴾ إلى قوله: ﴿ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون﴾ [المطففين: ٢١]، قال ابن عباس: «تمزج لأصحاب اليمين مزجاً ويشربها المقربون صرفاً»[3]

---

(١) ما بين القوسين ليس في الرواية!!

(٢) ولـلإمام الشوكاني رحمه الله كتاب كبير في شرح هذا الحديث اسمه «قطر الولي على حديث الولي» حققه وقام بدراسته الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال، وهو مطبوع في مصر، وانظر كلام المصنف شرحاً للحديث في «مجموع الفتاوي» (١١/١٩٤/٢١٨) و (١٧/٣٩٠ - ٣٩٤)

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٢٨) ونسبه لابن مسعود، =

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضعَ من كتابه، فكل من آمن بالله ورسوله واتّقى الله فهو من أولياء الله، والله سبحانه قد أوجب موالاةَ المؤمنين بعضِهم لبعض، وأوجب عليهم معاداةَ الكافرين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ إلى قوله: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة ٥١ ـ ٥٦]، فقد أخبر سبحانه أنَّ وليَّ المؤمن هو الله ورسولهُ وعبادهُ المؤمنون، وهذا عامٌّ في كل مؤمنٍ موصوفٍ بهذه الصفة سواءٌ كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة، أو لم يكن، وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [الانفال: ٧٢] وقال: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾، إلى قوله: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الانفال: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾ الآيتين [الحجرات: ٩].

وفي «الصحاح»[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ المؤمنين في

= وخرّجه من ابن أبي شيبة، وابن المبارك، وسعيد بن منصور، وهنّاد، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ولقد أورد عن ابن عباس تفسيرات أخرى غير هذا.

(١) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم كَمَثَل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمَّى والسَّهَر».

وفي «الصحاح»[1] أيضاً أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه.

وفي «الصحاح»[2] أيضاً أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يُسلمهُ ولا يظلمه».[3]

وأمثالُ هذه النصوص في كتابِ الله والسنةِ كثيرةٌ، قد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضَهم أولياءَ بعض وجَعَلَهم إخوةً وجعلهم متناصرين مُتراحمين مُتعاطفين، وأَمَرهم سبحانه في كتابه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراقِ والاختلاف، فقال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد ﷺ أن تفترق

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٦) ومسلم (٢٥٨٥) و (٢٦٢٧) عن أبي موسى الأشعري.

(٢) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) عن أنس.

(٣) اخرجه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٥٥٨٠) عن ابن عمر، وقوله: لا يُسلمه: أي لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجباً، وقد يكون مندوباً، بحسب اختلاف الأحوال، «فتح الباري» (٥/٩٧).

وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله؟؟ وقد برّأ الله نبيَّه ممن كان هكذا، وهـذا فعلُ أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء مَن خالفهم.

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك أن يُفَضِّل الرجلُ مَنْ يوافقه على هواه، وإن كان غيرهُ أتقى لله منـه، وإنما الواجب أن يُقدم مَنْ قدّمه الله ورسوله، ويُؤخّـر مَن أخّـره الله ورسـولـهُ، ويُحبّ ما أحبه الله ورسوله، ويُبغض ما أبغضه الله ورسولهُ، ويأمر بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنـه ورسولهُ، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يداً واحدة، فكيف إذا بلغ الأمرُ ببعضِ الناس أن يُضللّ غيره ويُكفّره!؟ وقد يكون الصوابُ معه وهـو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيءٍ من أمور الدين، فليس كلُّ من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً ولا عاصياً، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان(١).

وفي كتاب الله في دعاء الرسل والمؤمنين: ﴿ربنا لا تؤاخذنا

---

(١) إشارة لقوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رواه ابن ماجه (١/ ٦٣٠) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٥٦) والـدارقـطني (٤٩٧) والحـاكم (٢/ ١٩٨) وابن حزم في «الإحكـام» (٥/ ١٤٩) عن ابن عبـاس وصححـه شيخنـا العلامة الألباني في «رواء الغليل» (١/ ١٢٣).

إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وثبت في «الصحيح»[١] أن الله قال: «قد فعلت».

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام، مثل أن يكـون مثلَكم على مذهب الشافعي، أو مُنتسباً إلى الشيخ عَدِي، ثم بعـد هذا قد يُخالِفُ في شيء، وربما كان الصواب معه، فكيف يُستحل عرضُهُ أو دمُهُ أو مالُهُ مع ما ذَكَرَه الله من الحقوق للمسلم والمؤمن؟؟ وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله؟؟.

وهـذا التفريقُ الذي حصل بين الأمة وعلمائها ومشايخها وأمرائها وكُبَرائها هو الذي أوجب تسليطَ الأعداء عليهم، وذلك بتركهم العملَ بطاعة الله ورسولِهِ كما قال تعالى: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: ١٤]، فمتى ترك النـاسُ بعضَ ما أمـرهم الله به وقعت بينهم العـداوةُ والبغضـاءُ، وإذا تفـرّق القـومُ فَسدوا وهَلَكوا، وإذا اجتمعوا صَلَحوا ومَلَكوا، فإنَّ الجماعة رحمةٌ وإن الافتراقَ عذابٌ، وجُمَّاعُ ذلك الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ إلى قوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠١ ـ ١٠٤].

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) والترمذي (٢٩٩٥) عن ابن عباس.

فَمِنَ الأمر بالمعروف، الأمرُ بالائتلاف والاجتماع، والنهيُ عن الاختلاف والَفُرقة، وَمِنَ النهي عن المنكر إقامةُ الحدود على من خرج عن شريعة الله تعالى[1] فمن اعتقد في بشر أنه إلهٌ أو دعا ميتاً أو طلب منه الرزق والنصر والهدايةَ، وتوكل عليه أو سجد له، فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

ومن فضّل أحداً من المشايخ على النبي ﷺ أو اعتقد أن أحداً يَستغني عن طاعته استتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد كما كان الخضر مع موسى فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، لأن الخضر لم يكن من أمة موسى ولا كان تجب عليه طاعته، بل قال: «إني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه»[2].

وكـان موسى مبعوثاً إلى بني إسرائيل كما قال النبي ﷺ: «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامة»[3].

ومحمدٌ ﷺ مبعوثٌ إلى الثقلين إنسِهم وجنِّهم، فَمن اعتقد

---

(١) وذلك خاصّ بالخليفة إجماعاً.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٥) ومسلم (٢٣٨٠) والترمذي (٣١٤٨) وأبو داود (٤٧٠٥) و (٤٧٨٦) و (٤٧٠٧) عن ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥) و (٤٣٨) و (٣١٢٢) و مسلم (٥٢١) والنسائي (١/ ٢١٠ و ٢١١) عن جابر بن عبدالله.

أنه يسوغ الخروجُ عن شريعته وطاعته فهو كافرٌ يجب قتلهُ.

وكذلك من كفّر المسلمين واستحلّ دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فإنه يجب نهيه عن ذلك(١) وعقوبتهُ بما يزجُره ولو بالقتل أو القتال، فإنه إذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الأسباب التي تُرضي الله ورسوله وُتصلحُ أَمرَ المسلمين.

ويجبُ على أولياءِ الأمر، وهم علماءُ كل طائفة وأمراؤها ومشايخها، أن يُقوّموا عامتَهم ويأمروهم بالمعروف، ويَنْهَوهم عن المنكر، فيأمروهم بما أمر الله به ورسولهُ ويَنْهَوهم عمّا نهى الله عنه ورسولهُ:

فالأول: مثل شرائع الإسلام، وهي الصلواتُ الخمسُ في مواقيتها، وإقامةُ الجمعة والجماعات من الواجبات، والسنن الراتبات: كالأعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك، وكذلك الصدقات المشروعة، والصوم المشروع، وحج البيت الحرام، ومثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره،

---

(١) كفرقة «الحبشي ومريديه» في هذه الأيام وقد رددت عليهم ـ بفضل الله وحده ـ بكتاب مفرد اسمه «حوار مع الحبشي ومريديه..» وهو تحت الطبع.

ومثل الإحسان، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] ومثل سائر ما أمر الله به ورسولهُ من الأمور الباطنة والظاهرة، مثل إخلاص الدين لله، والتوكل على الله، وأن يكون الله ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما[2] والرجاء لرحمة الله، وخشية عذاب الله، والصبر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، ومثل صدق الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك، والعدل في المقال والفعال، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمَّنْ ظلمك قال تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾ إلى قوله: ﴿ذلك من عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٣].

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسولهُ فأعظمه الشرك بالله، وهو أنْ يَدْعوَ مع الله إلهاً آخر؛ إما الشمس، أو القمر، أو الكواكب، أو مَلَكَاً من الملائكة، أو نبياً من الأنبياء، أو رجلاً من الصالحين، أو أحداً من الجن، أو تماثيل هؤلاء، أو قبورهم، أو غير ذلك مما يُدعى من دون الله تعالى، ويُستغاث به، أو

(١) كما في حديث جبريل المشهور، وقد تقدم تخريجه.

(٢) كما في قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان اللهِ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما...» أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) والترمذي (٢٩٢٦) والنسائي (٨/٩٦) وابن ماجه (٤٠٣٣)

يُسجد له، فكلُّ هذا وأشباههُ من الشرك الذي حرّمه الله على لسان جميع رسله.

وقد حرّم الله قتلَ النفس بغير حقها، وأكلَ أموال الناس بالباطل إما بالغصب وإما بالربا أو المَيْسر، كالبيوع والمعاملات التي نهى رسولُ الله ﷺ عنها، وكذلك قطيعةُ الأرحام، وعقوقُ الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، والإثم والبغيُ بغير الحق.

وكـذلك مما حرم الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم، مثل أن يروي عن الله أو رسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتهـا، أو يصفَ الله بصفـاتٍ لم ينزل بها كتابٌ من السمـاء ولا فيهـا آثـار من علم الرسول ﷺ، سواء كانت من صفـات النهي والتعـطيل مثـل قول الجهمية: إنـه ليس فوق العرش ولا فوق السماوات[1] أو أنه لا يُرى في الآخرة ولا يتكلم ويُحب، نحـو ذلـك مما كذبـوه على الله ورسوله، أو كانت من صفات الإثبات والتمثيل، مثل من يزعم أنه يتمشّى في الأرض أو يُجالس الخلق، أو أنهم يرونه بعيونهم، أو أن السماوات تحويه وتحيط به[2]، أو أنه سارٍ[3] في مخلوقاته، إلى غير ذلك من أنواع

(١) ويقول بقولهم ـ جهلاً ـ كثير من مثقفي المسلمين والدعاة فضلاً عن غوغاء العامة.

(٢) في هذا ردٌّ مباشر على من يَنْسِجُ حول شيخ الإسلام المصنف الكذب والمفتريات في مسألة علو الله على خلقه سبحانه.

(٣) بمعنى: حالّ.

الفِرْية على الله.

وكذلك العباداتُ المُبْتَدعَةُ التي لم يَشْرَعهَا الله ورسولهُ كما قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالـم يأذن به الله﴾ [الشورى: ١٠] فإن الله شرع لعباده المؤمنين عباداتٍ، وأحدث لهم الشيطانُ عباداتٍ ضاهاها بها، مثل: أنه شُرع لهم عبـادةُ الله وحده لا شريك له، فشرع لهم شركاؤهم عبادَة ما سواه والإشراك به، وشُرع لهم الصلواتُ الخمسُ وقراءةُ القرآنِ فيهـا، والاستـماعُ له، والاجتـماعُ لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً، فأول سورة أنزلها الله على نبيه: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١] أمره في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود بقـولـه: ﴿واسجـد واقترب﴾ ولهذا أعظمُ أذكار الصلاةِ قراءةُ القرآن، وأعظمُ الأفعال السجودُ لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وقرآنَ الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٧]، وقال: ﴿وإذا قُرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [الاعراف: ٢٠٤].

وكـان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والناس يستمعون، وكان عُمر يقول لأبي موسى: يا أبا موسى ذَكِّرنا رَبَّنَا، فيقرأ وهم يستمعون(١)، ومر النبي ﷺ بأبي موسى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته، وقال: «يا أبا موسى

---

(١) «شرح السنة» (٥/٤٩٢)

مررتُ بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك»، فقال: لو علمتُ أنك تستمع لحبَّرتهُ[1] لك تحبيراً[2]، وقال: «لله أشدُّ أَذَناً - أي استماعاً - إلى الرجل الحسنِ صوتهُ بالقرآن من صاحب القَيْنة[3] إلى قَيْنته»[4].

وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الأمة وأكابر المشايخ كَمَعْروف الكَرْخي[5] والفُضَيل بن عِياض[6] وأبي سُلَيْمان الدَّاراني[7] ونحوهم، وهو سماع المشايخ المتأخرين الأكابر كالشيخ عبدالقادر والشيخ عَدي والشيخ أبي مَدْين[8] وغيرهم من المشايخ.

---

(١) لحسّنته.

(٢) رواه أبو يعلى والروياني عن أبي موسى، وابن سعد عن أنس بإسناد على شرط مسلم، كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٨١).

(٣) هي المُغنّية وصاحبها الذي يستمع إليها.

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٩ و ٢٠) وابن ماجه (١٣٤٠) وابن حبان (٦٥٩) والحاكم (١/ ٥٧٠ - ٥٧١) والبيهقي (١٠/ ٧٣٠) والطبراني في «الكبير» (١٨ - ٣٠١) وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي بقوله: بل هو منقطع، وحسَّنه البوصيري في «الزوائد».

(٥) توفي سنة (٢٠٠ هـ) ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٩٩).

(٦) توفي سنة (١٨٧ هـ) ترجمته في «وفيات الأعيان» (٤/ ٤٧).

(٧) هو عبدالرحمن بن أحمد توفي سنة (٢١٥ هـ) ترجمته في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٤).

(٨) لعله شعيب بن الحسن التلمساني المتوفى سنة (٥٩٤ هـ) ترجمته في «الشذرات» (٤/ ٣٠٣) و «شجرة النور الزكية» (١٦٤).

وأما المشركون فكان سماعُهم كما ذكر الله في قوله: ﴿ومَاَ كاَنَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وتَصْدِية﴾ [الأنفال: ٣٥] قال السلف:(١) المكاء: الصفير، والتصْدِيَة: التصفيق باليد. فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة، فذمهم الله تعالى على ذلك، وجعل ذلك من الباطل الذي نهى الله عنه.

فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادةً وقُربةً يتقرّبُ بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمرهم، وكذلك لم تفعله القرونُ الثلاثةُ التي أثنى عليها رسول الله ﷺ(٢)، ولا فعله أكابر المشايخ.

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الأفراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار(٣) فإن دين الإسلام واسعٌ لا حَرَجَ فيه، وعمادُ الدين الذي لا يقوم إلا به، هو الصلواتُ الخمسُ المكتوباتُ، فيجبُ على المسلمين من الاعتناء

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٣/١٨٣).

(٢) كما تقدم تخريجه بلفظ: «خير الناس القرن..»

(٣) وللمصنف رحمه الله رسالة «السماع» مطبوعة ضمن المجلد الثاني من «مجموعة الرسائل الكبرى» وقد نَشَرَتْ مجلة المجتمع الكويتية الصادرة بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٠٢ بحثاً لي بعنوان «تيسير العزيز الحميد في حكم الدف المستعمل مع الأناشيد» وانظر رسالتي «أحكام العيدين في السنة المطهرة» (ص ٩ و ٣٥).

بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها.

كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يكتب إلى عُمَّاله: إنّ أهمَّ أمركم عندي الصلاةُ، فَمَن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه وأقامه، ومَن ضيّعها فهو لما سواها من عمله أشدُّ إضاعةً.

وهي أول ما أوجبه الله من العبادات، والصلوات الخمس، تولى الله إيجابَها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج[1]، وهي آخر ما أوصى به النبيُّ ﷺ أُمتَه وقتَ فراق الدنيا جعل يقول: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ وما ملكت أيمانُكم»[2]، وهي أول ما يُحاسب عليه العبدُ من عمله، وآخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهبت ذهب الدينُ كلُّه، وهي عمودُ الدين فمتى ذهب سقط الدينُ، قال النبي ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[3]، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿فخلف من بعدهم

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١١٢) والترمذي (٢١٣) والنسائي (١/٢١٧ - ٢٢٣) عن أنس.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٢٩٠ و ٣١١ و ٣٢١) وابن ماجه (١٦٢٥) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/٢٣٥ و ٢٣٦) والبغوي في «شرح السنة» (٢٤١٥) عن أم سلمة، وهو منقطع وفي الباب عن علي عند أحمد (٦٩٣) وأبي داود (٥١٥٦) وعن أنس عن أحمد (٣/١١٧) وابن حبان (١٢٢٠)، فهو حسن.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٩) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد(٥/٢٤٥) عن معاذ، وهو حديث حسن له طرق أخرى، انظرها في «إرواء الغليل» (٢/١٣٨)

خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾ [مريم: ٥٩] قال عبد الله بن مسعود: إضاعتها تأخيرها عن وقتها، ولو تركوها لكانوا كفاراً، وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨] والمحافظةُ عليها فِعْلُها في أوقاتها، وقال: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٣ ـ ٥] وهمُ الذين لا يُؤدّونها حتى يخرجَ الوقت، وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز تأخيرُ صلاةِ النهار إلى الليل، ولا تأخيرُ صلاة الليل إلى النهار، لا لمسافر ولا لمريض ولا غيرِهما، لكنْ يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتي النهار وهي الظهر والعصر في وقت إحداهما، ويجمع بين صلاتي الليل وهي المغرب والعشاء في وقت إحداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الأعذار[1].

وقد أوجب الله على المسلمين أن يُصلّوا بحَسب طاقتهم كما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦]، وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمر فَأْتوا منه ما استطعتم»[2] فعلى الرجل أن يُصلي بطهارة كاملة، وقراءة كاملة، وركوع وسجود كامل، فإن كان عادماً للماء أو يتضررُ باستعماله، لمرض أو بَرْدٍ،

---

(١) وهذه فائدة مهمة للغاية، ولأخينا في الله طالب العلم النبوي، أبي عبدالرحمن وفيق بن أحمد كتاب «جلاء العينين في الجمع بين الصلاتين» وهو مفيد في بابه، يسّر الله طبعه.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) والنسائي (٥/ ١١٠) عن أبي هريرة.

أو غير ذلـك وهـو مُحْدِثٌ أو جُنُبٌ تَيَمَّم الصعيدَ الـطيِّب وهو التراب الطاهر، فيمسح وجهه ويديه[1] ويُصلي ولا يؤخّرها عن وقتها باتفاق العلماء وكذلك إذا كان محبوساً أو مُقيداً أو زمِناً[2] أو غير ذلك صلى على حسب حاله، وإذا كان بإزاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخـوف قال تعـالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا.... إلى قوله: كتاباً موقوتاً﴾ [النساء: ١٠٠]، ويجب على أهل القدرة من المسلمين أمْرُ كل أحد بالصلاة من الرجال والنساء حتى الصبيان قال النبي ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[3]، والرجل البالغ إذا امتنع عن صلاة واحدة من الصلوات الخمس أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، فإذا مات فمن العلماء من يقول: يُقتل مرتدًّا كافراً لا يُصلّى عليه ولا يدفن بين المسلمين، ومنهم من يقـول: يكـون كقـاطـع

---

(١) بضربة واحدة، كما صح في السنة المطهرة عن عمار بن ياسر، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٢٦٣) وانظر «صحيح الجامع الصغير» (٣٠١٧) والتعليق عليه.

(٢) قال في «مختار الصحاح» (٢٧٥): الزّمَانة: آفة في الحيوانات، ورجل زَمِنٌ، أي: مبتلًى بيِّن الزمانة.

(٣) أخـرجـه أبو داود (٤٩٥) و (٤٩٦) وأحمد (٢/١٨٧) و الدارقطني (١/٨٥) والحاكم (١/١٩٧) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهو حَسَنٌ إن شاء الله، وانظر «نصب الراية» (١/٢٩٤) للزيلعي.

الطريق، وقاتل النفس، والزاني المحصن.

وأمْرُ الصلاةِ عظيمٌ شأنها أعظم من أن يُذكر هنا، فإنها قِوَامُ الدين وعمودهُ، وتعظيمُ الله لها في كتابه فوقَ جميع العبادات، فإنه سبحانه يُخَصِّصُها بالذكر وَيقْرِنُها بالزكاة تارةً وبالصبر تارةً وبالنُّسُك تارة، كقوله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله: ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ [الكوثر: ٢]، وقوله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦١].

وتارةً يفتتح بها أعمالَ البِرِّ ويختمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل، وفي أول سورة المؤمنين، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ـ إلى قوله ـ والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

فنسألُ الله العظيمَ أن يجعلنا وإياكم من الوارثين، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، ويجمعَ لنا ولكم وسائر إخواننا المؤمنين خيرَ الدنيا والآخرة، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتهُ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا

محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله كما هو أهلهُ وكما ينبغي لكرم وجهه[1].

---

(١) تم الفراغ من تحقيقه، والتعليق عليه، وتخريج أحاديثه على وجه الاختصار، بمجالس من غُرّة شهر شوّال المبارك من العام الرابع بعد الأربع مئة والألف من الهجرة النبوية المباركة، وكتبه: أبو الحارث علي ابن حسن بن علي الحلبي الأثري.



المحتوى

** .... * .... **


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com